الفصل الرابع عشر

شهادة المسيح عليه السلام

١ ـ ١٤. شهادة عزرا.

إن ما يميز المسيّا المنتظر عند عزرا ثلاثة صفات رئيسة:

١ ـ أنه صاحب شريعة جديدة تنسخ الشريعة الموسوية التي أرهقت كاهل اليهود.

٢ ـ ينتصر على أعدائه عُبّاد الأوثان ويبيدهم.

٣ ـ ينشئ دولة الإيمان التي تحكم بالعدل الذي افتقده الناس لمدة طويلة.

لم يكن عزرا أول من بشّر بالمخلص المنتظر وإنما سبقه النبي أشعيا[1] الذي أعطى معلومات أوسع يمكننا من خلالها التعرف على هذا الإنسان العظيم الذي سينقذ الإنسانية والذي تنتظره الأمم والشعوب كافة. فهو:

١ ـ عبدالله ورسوله. يبسط الله عليه الحماية ويحفظه حتى يبلغ رسالة ربه.

---

(١) الفصل الثاني والأربعون من نبوءة أشعيا.

obeikandl.com

٢ ـ صاحب شريعة جديدة تنتظرها الأمم والشعوب.

٣ ـ هو من سكان الصخرة المنحوتة ومن أبناء قيدار من نسل إسماعيل عليه السلام.

٤ ـ يحطم الأصنام ويخزي عبّادها ويذلّهم.

٥ ـ يسهل اللّه الأمور أمام أمته فيؤسسون دولة الإيمان وينشرون العدل والرحمة المنتظرين في كل أنحاء العالم.

٢ ـ ١٤. إنجازات المسيح.

جاء المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه الذي بشّرت به الكتب آخر أنبياء بني إسرائيل مؤيدا بالمعجزات وبالروح القدس ليدعو بني إسرائيل للإيمان الحقيقي، وللعودة إلى روح الشريعة الموسوية ولكنهم رفضوه.

كان المسيح محباً للفقراء والمساكين، متواضعاً ليناً يخدم أصحابه بدل أن يخدموه، يرشدهم إلى الحق ملمحاً بمثل بسيط. كان يجعل من نفسه قدوة صالحة لهم، يستمع إلى الأرملة ويعطف على اليتيم ويشفي المريض. أحبه الشعب وأبغضه رجال الدين. ابتعد عنه الأغنياء وتخوّف منه الحكام. لم يكن المسيح مديد القامة مفتول العضلات. ولم يكن صاحب سيف أو رمح. كان معتدل القامة رقيقاً وديعاً ولم يكن جباراً شقياً. كان المسيح إنساناً بما تحويه هذه الكلمة من المعاني السامية والمشاعر الرقيقة الطيبة. كان مرهف الحس لطيفاً، كثير الصوم والصلاة والبكاء من خشية اللّه تعالى.

كان اليهود ينتظرون ملكاً غنياً، ماردا جباراً عتياً يسوقهم بالعصا ويُخضع لهم الشعوب والقبائل، ويوزع عليهم السلب والنهب ويقطعهم العالم. كانوا يريدون إنساناً يستلم زمام الحكم في الدولة ليستطيع أن يشرع لهم القوانين الجديدة التي وعدهم بها موسى وأشعيا وعزرا بدلاً من الشريعة القديمة التي أرهقتهم وأذلت رقابهم، ولكن المسيح لم يشرع جديداً لأنه كان فرداً من الشعب ولا سلطة له

على أحد، وصرح مراراً بأنه على ناموس موسى. وهذا طبيعي لأن صاحب التشريع يجب أن يكون صاحب سلطة أو مؤيداً من صاحب سلطة وهذا ما لم يتيسر للمسيح.

أنكر اليهود المسيح لأنهم لم يرغبوا بإنسان يعلمهم الحب والإنسانية ويرشدهم الطريق إلى معرفة الله تعالى وكسب مرضاته بالعبادة والعمل الصالح. كانوا يريدون جزاراً لا يعرف الرحمة ولا يحب الشفقة ولايريد المساواة مع الشعوب الأخرى.

٣ ـ ١٤. إنذار المسيح.

قام المسيح بالمعجزات الباهرة وأتى بالبيانات الظاهرة فآمن به الشعب على خوف من رجال الدين المنافقين للسلطة الحاكمة، الذين تحزّبوا ضده صفاً واحداً واتهموه بالسحر والشعوذة، فأرسل إليهم المسيح إنذاراً وتهديده لهم بأن كشف لهم ما سيؤول إليه أمرهم إن استمروا في وضع العصي بين عجلات دعوته فقال لهم:

اسمعوا مثلاً آخر[1] غرس رب بيت كرماً، فسيجه وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وأجره بعض الكرامين ثم سافر. فلمَّا حان وقت الثمر. أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذوا ثمره فأمسك الكرامون عبيده فضربوا أحدهم وقتلوا الآخر ورجموا الثالث. فأرسل عبيداً سواهم أكثر من الأولين عدداً، ففعلوا بهم الفعل نفسه. فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال: سيهابون ابني. فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض: هو ذا الوارث، هلُمّ نقتله ونأخذ ميراثه، فأمسكوه وألقوا به خارج الكرم وقتلوه. فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته؟. قالوا له: يهلك القوم الأشرار شرّ هلاك ويؤجر الكرم كرامين آخرين يؤدّون إليه الثمر في وقته. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب أن الحجر الذي رذله البناؤون هو الذي صار رأس الزاوية؟ ذاك صنع ربنا كان عجيباً لأبصارنا لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع عنكم ليسلم إلى أمة تجعله يخرج ثمره.

---

(١) إنجيل متى الفصل الواحد والعشرين الفقرة ٣٣.

فلما سمع الأحبار والفريسيون هذين المثلين أدركوا أنه يعرض بهم في كلامه فحاولوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبياً.

٤ ـ ١٤. منهاج المسيح.

نظم المسيح الدعوة للإيمان باللّه تعالى بشكل لم يسبق له مثيل، فقسم تلاميذه كل اثنين معاً يدخلان القرى والمدن يبشران فيها ويعرفان بالمسيح ورسالته. كان التلاميذ مسلحين بالقدرة التي أولاهم إياها المسيح فشفوا الأمراض وطردوا الشياطين، فذاع اسمه وتشوق الناس لمعرفته والتتلمذ على يديه، وسن لتلاميذه منهاجاً متقشفاً صارماً لايحيدون عنه، وأمرهم بالابتعاد عن الوثنيين والسامريين وعدم دعوتهم أو تبشيرهم قائلاً لتلاميذه: لم أرسل سوى إلى خراف إسرائيل الضالة[١]. وعندما جاءته امرأة سورية تطلب منه شفاء ابنتها أصمّ أذنه عن سماع ندائها وتوسلها وقال لها: لايحسن إعطاء خبز البنين للكلاب[٢]. لم يكن المسيح عنصرياً وإنما كان مرسلاً في مهمة محددة. وحلّ تلاميذ المسيح محلّ الكهنة ورجال الدين التقليديين، وانصرف الناس عن الكهنة إليهم فكانوا يُعَمِّدون الناس ويطهرونهم من الذنوب بإرشادهم إلى التوبة الصادقة والعودة إلى التمسك بناموس موسى[٣] والعمل بشريعته التي جاء بها.

واستعر الحقد في صدور رجال الدين وخاصة الصدوقيين منهم، فمعجزات المسيح ـ شفاء المرضى ـ إخراج الشياطين ـــ إحياء الموتى، دحضت مزاعمهم التي تنكر البعث والنشور وأماتت مذهبهم المادي البحت، وأظهرت للناس إمكانية القيامة، وأثبتت وجود الجن والشياطين والملائكة التي أنكر الصدوقيون وجودها. وبدأت المؤامرات السرية تحاك ضد المسيح للتخلص منه ومن أتباعه.

---

(١) إنجيل متى الفصل الخامس عشر. الفقرة ٢٤.

(٢) إنجيل متى الفصل الخامس عشر. الفقرة ٢٦.

(٣) إنجيل متى الفصل الثامن الفقرة ٤. وإنجيل مرقس الفصل الأول فقرة ٤٤. ولوقا الفصل السادس عشر الفقرة ٢٩. وإنجيل لوقا الفصل الرابع والعشرون الفقرة ٢٧. وإنجيل يوحنا الفصل الأول الفقرة ١٧. وإنجيل يوحنا الفصل الخامس للفقرة ٤٦.

وجد الناس في المسيح روحاً جديدة وأملاً عظيماً وتعليماً قويماً فتعلقت به القلوبُ والأرواح. وانجذب إليه الجمهور بكليتهم عقلاً ونفساً وروحاً. كان المسيح يخطب على المنبر في الهيكل[1] ولكن كلامه كان لايشبه كلام الخطباء العظماء أو الفصحاء. كان يتحدث إليهم بكلام النبوة الذي يدخل القلب فيحييه ويدخل الفكر فينميه، ويدخل النفس فيزكيها وتمتلئ بالإباء وتعشق المكرمات. ويدخل الروح فتسبح في أعلى عليين.

كان كلام المسيح متدفقاً كالنبع الجاري حلواً كالشهد الصافي. أما رجال الدين فكان كلام المسيح ينزل عليهم كالصواعق المحرقة فيزداد سواد قلوبهم ويكبر حقدهم وحسدهم.

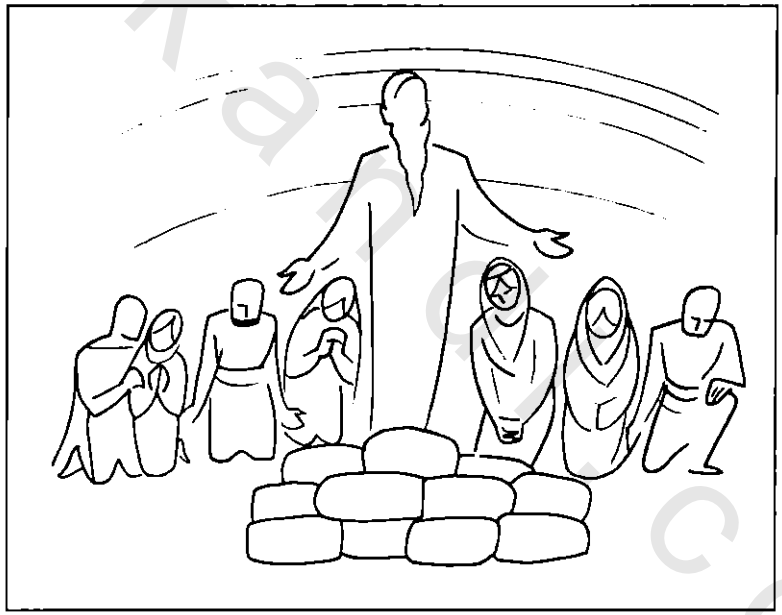

(١) كان المسيح زعيماً لفرقة الفريسيين وكان يخطب في الهيكل لأنه من رجال الكهنوت اليهودي ولايسمح لأي كان بالخطبة على منبر الهيكل. وعندما قبض على بولص في مجمع الكهنة صاح بأعلى صوته: أنا فريسي بن فريسي أقر بأني أعبد إله آبائي على السنة التي يزعمون أنها بدعة (أي أنه من أتباع الناصري) وأومن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الأنبياء راجياً من اللّه ما يرجون من قيامة الأموات الأبرار والفجار. (أعمال الرسل).

وعندما رفض المسيح أن يكون ملكاً أو قائد ثورة، شعر رجال الدين أن المستعمر الروماني سوف يبقى وأن مصالحهم ستبقى مرتبطة بولائهم للرومان، وأن المسيح ليس أكثر من نبي عادي لايطمح إلى أكثر من أن يكون رئيس الأحبار وعظيمهم، وهويدعو إلى الحب والسلام، إلى الاستقامة والتقشف.

٥ ـ ١٤. تصريحات المسيح.

اقتنع بنو إسرائيل بنبوة المسيح وآمنوا به جميعاً بعد أن أحيا لهم الموتى، وانتظروا منه أن ينفخ بفمه على الرومان فيبيدهم جميعاً كما فعل ذلك النبي إيليا الذي صعد إلى السماء بمركبة نارية. ولايزال اليهود ينتظرون عودته ليحطم أعداءهم أو يذبحهم كما فعل بأنبياء البعل[1].

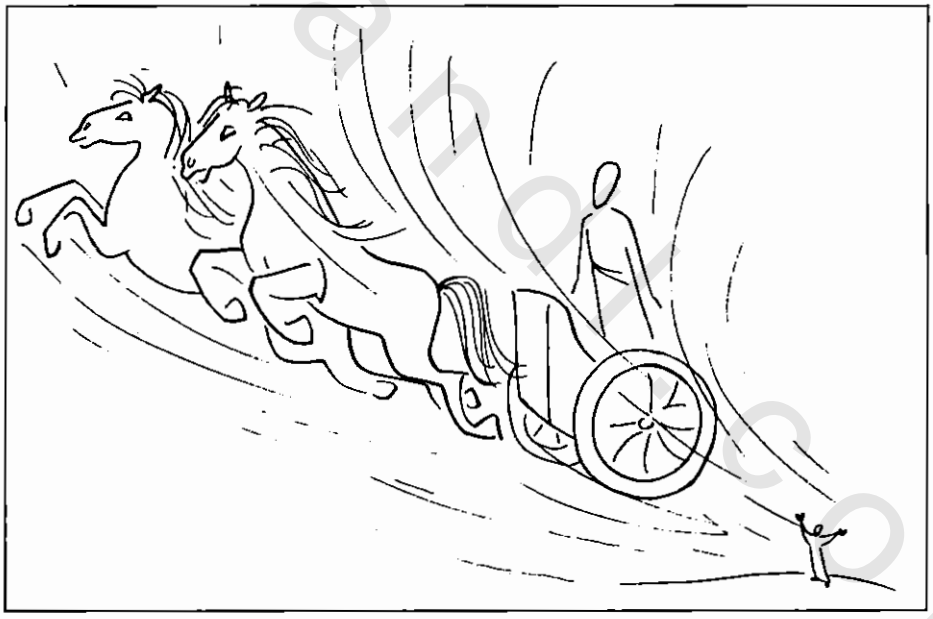

(١) قصة إيليا وصعوده إلى السماء مذكورة في سفر الملوك الثالث وسفر الملوك الرابع. أما دعوة إيليا فهي مذكورة في شروحات الكتاب المقدس وأنه سيعود آخر الزمان ليبشر بالمسيح.

ولكن المسيح أفهمهم أنه جاء نذيراً وبشيراً، وقال لهم توبوا فقد اقترب ملكوت السموات[1] . فقال له رئيس الكهنة: علينا أن نعرف من أنت[2] ؟.

أجاب يسوع: أنا عيسى بن مريم بَشَرٌ مائتٌ ويخاف اللّه وأطلب أن لايعطى الإكرام والمجد إلا لله.

قال الكاهن: إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل مسيا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد اللّه، وسيأتي للعالم برحمة اللّه، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق، هل أنت مسيّا رسول اللّه الذي ننتظره؟.

أجاب يسوع: حقاً إن اللّه وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي.

قال الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس اللّه، لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في اللّه بأية كيفية سيأتي مسيّا.

أجاب يسوع: باللّه الحيّ الذي تقف بحضرته نفسي إني لست مسيّا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد اللّه أبانا إبراهيم قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، ولكن عندما يأخذني اللّه من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عديم التقوى على الاعتقاد بأني اللّه وابن اللّه، فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لايكاد يبقى ثلاثون مؤمناً. حينئذ يرحم اللّه العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، وسينزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة اللّه لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً.

---

(١) يقول المسيح في إنجيل لوقا الفصل الرابع الفقرة ٤٣: يجب عليَّ أن أبشر سائر المدن بملكوت اللّه فإني لهذا أرسلت. وفي إنجيل مرقس الفصل الأول الفقرة ١٤: جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة اللّه فيقول: حان الوقت واقترب ملكوت اللّه فتوبوا وآمنوا بالبشارة. وجاء في القرآن الكريم سورة الصف: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وكلمة إنجيل تعني البشارة بمحمد ﷺ.

(٢) إنجيل برنابا الفصل السادس والتسعون والفصل السابع والتسعون.

ومع أني لست مستحقاً أن أحلّ سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من اللّه لأراه.

فرد: حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين: لاتزعج نفسك يا يسوع قدوس اللّه لأن هذه الفتنة لاتحدث في زمننا مرة أخرى لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد اللّه أو ابن اللّه.

فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد اللّه أبانا إبراهيم، وإن ما يعزيني هو أن لانهاية لدينه لأن اللّه سيحفظه صحيحاً.

سأل الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول اللّه؟

فأجاب يسوع: لايأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من اللّه ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة، وهو ما يحزنني، لأن الشيطان سيثيرهم بحكم اللّه العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي.

سأل هيرودتس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم اللّه العادل؟.

أجاب يسوع: من العدل أن من لايؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته، لذلك أقول لكم إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً ويحبّ الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وإرميا، لأن الشبيه يحب شبيهه.

فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مسيّا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه.

أجاب يسوع: إن اسم مسيّا عجيب لأن اللّه نفسه سماه لمّا خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. قال اللّه: اصبر يا محمد، لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك، حتى إنّ من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى إنّ السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لايهن أبداً. إن اسمه المبارك محمد.

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا اللّه أرسل لنا رسولك. يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم.

٦ ـ ١٤. سورية ومصر تحملان رسالة السماء.

سببت تصريحات المسيح انهياراً لآمال اليهود المعقودة على مجيء المسيح، وشعر اليهود بخيبة أمل ويأس شديدين، وباتوا ينتظرون مسيح عزرا أو المسيّا الذي سيثأر من الكفار، والذي سيجيء آخر الزمان ليخلصهم من الذل ويسوّدهم على العالم.

أما تلاميذ المسيح اللاصقين به فقد فهموا أن الوعود والآمال ستتحقق على يد البارقليط[1]. وكانت دعوتهم مركزة في مصر وبلاد الشام. لذلك نرى والفضل يعود لتعاليم عزرا وبشارة المسيح، أن هذين القطرين دخلا الإسلام بثبات وقوة، وانطلقت من سورية ومصر جيوش المسلمين تنشر العدل والحرية، وتحرر العقول والأفكار، وتؤسس مجتمع المحبة والرخاء في العالم أجمع.

إن لليهود فضلاً كبيراً في انتشار الإسلام فيهود الشتات الذين حزن عليهم عزرا انتشروا في كل بلاد العالم يهددون أهالي البلاد وينذرونهم كلما شعروا بالمضايقة والاضطهاد بمجيء رسول اللّه الذي سيخلص اليهود ويخزي أعداءهم.

وسار يوحنا الرائي[2] على منوال معلمه وأستاذه المسيح عليه السلام فقام يبشر بمجيء الصادق الأمين الذي منعه من السجود لبشر، وأعلمه أنه لايجوز السجود لغير اللّه تعالى. ووصفه يوحنا بأنه يحارب ويقضي بالعدل وتتبعه جيوش المؤمنين وهم لابسون ثياباً بيضاء نقية، ويخرج من فمه سيف صارم ذو حدين ليضرب به الأمم والشعوب وهو سيرعاهم بعصا من حديد. ويدوس أعداء اللّه الذين سخط عليهم كما يدوس الكرّام العنب في المعصرة.

---

(١) وإذا كنتم تحبوني حفظتم وصايا وأنا اسأل أبي فيهب لكم بارقليط يبقى معكم إلى الأبد. إنجيل يوحنا الفصل الرابع عشر الفقرة ١٦، وكلمة بار تعني ابن وقليط تعني هاجر.

(٢) هو يوحنا الشيخ ويقال هو يوحنا حواري المسيح كُتبت رؤيا القدس يوحنا في العام ١٠٠ ميلادية. والنص مأخوذ من الفصل التاسع عشر.

واليوم فإن العالم المسيحي الذي لم يؤمن برسالة محمد ﷺ ينتظر عودة المسيح ومعه جيشه السماوي ليدين الأحياء والأموات، ويحقق دولة الإيمان التي تحكم بالشريعة الجديدة التي سوف يأتي بها.

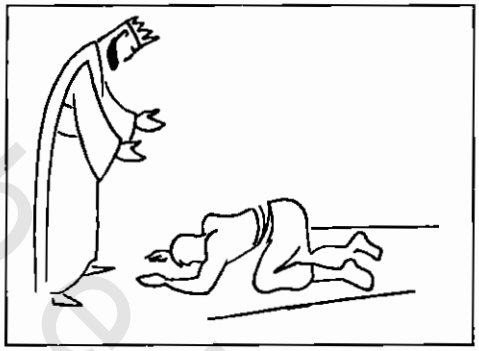

يا ترى هل تتحقق آمال المسيحيين؟.

واليهود ما زالوا ينتظرون عودة إيليا الذي صعد إلى السماء لكي يقضي على أعدائهم ومضطهديهم بنفخة واحدة. لقد رفضوا اتباعَ محمد ﷺ رغم اعترافهم بنبوته لأنه عربي وليس من بني إسرائيل. وهم ينتظرون مسيحاً يملكهم العالم ويخضعه لهم.

يا ترى هل تتحقق أحلام اليهود؟.

أم أن كل إنسان عاش على هذه الأرض يموت ويغادرها إلى غير رجعة؟؟؟.